مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 22 العدد 01 2026/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

توراة موسى وتابوت العهد: قراءة مقارنة بين الرمزية الدينية والتأويل التاريخي والسياسي في الديانات الإبراهيمية

The Torah of Moses and the Ark of the Covenant: A Comparative Study of Religious Symbolism and Historical-Political Interpretation in the Abrahamic Religions

الباحث حلمي العليوي*

كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة تونس

aliouihilmi@gmail.com

تاريخ الإستلام: 2025/11/06 **تاريخ القبول: 2025/12/16**

ملخص:

يتناول البحث مسألة توراة موسى وتابوت العهد من منظور تاريخي، ديني، وفكري، مستعرضًا مواقف الديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. يوضح المقال أن التوراة الحالية ليست نفسها التي كتبها موسى، لكنها تحتفظ بالبعد الرمزي والقدسي للتوراة الأصلية، فيما يظل تابوت العهد أو "تابوت السكينة" رمزًا للحضور الإلهي والعهود المقدسة. كما يستعرض البحث التأويلات اللاهوتية والفلسفية، وصولًا إلى استخدام الرموز الدينية في الفكر الصهيوني الحديث، حيث تتحول من رموز ميتافيزيقية إلى أدوات سياسية. في النهاية، يؤكد البحث على أهمية فهم العلاقة بين النص المقدس، الرمزية، والهوية الدينية والسياسية عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: توراة موسى، تابوت العهد، الديانات الإبراهيمية، الرمزية الدينية، الفكر الصهيوني الحديث.

Abstract :

This study examines the Torah of Moses and the Ark of the Covenant from historical, religious, and intellectual perspectives, reviewing the positions of the three Abrahamic religions: Judaism, Christianity, and Islam. The article highlights that the current Torah is not identical to the one written by Moses, yet it preserves the symbolic and sacred dimension of the original Torah, while the Ark—or the "Ark of Tranquility" in Islam—remains a symbol of divine presence and sacred covenants. The research also explores theological and philosophical interpretations, extending

---

* **المؤلف المرسل**: الباحث حلمي العليوي، **الايميل**: aliouihilmi@gmail.com

to the use of religious symbols in modern Zionist thought, where they transform from metaphysical symbols into political tools. Ultimately, the study emphasizes the importance of understanding the relationship between sacred texts, symbolism, and religious-political

Keywords: Torah of Moses, Ark of the Covenant, Abrahamic religions, Religious symbolism, Modern Zionist thought.

مقدمة:

في جميع الأحوال، وجب على الباحث الأخذ بعين الاعتبار مبدأ أن "التاريخ نصفه للنسيان ونصفه الآخر للتفسيخ"؛ أي أنّ ما يبقى من الوقائع لا ينجو إلا بعد أن يخضع لعمليات انتقاء وتأويل ومحو وإعادة تركيب. ومن هذا المنطلق يمكن للباحث أن ينطلق في دراسته من أبسط المعطيات، حتى تلك التي يُشكّ في صدقها أو يُتّهم سندها بالضعف، خاصة في ميدان علم الأديان المقارن، حيث تتقاطع النصوص مع الأساطير، والمرويات مع الرموز، والتاريخ مع الإيمان. فكم من حديث ضعيف السند أو رواية آحادية السماع قادت إلى فرضيات ذات قيمة علمية عالية حين وُضعت في سياقها التاريخي والفكري الصحيح.

ومن الأمثلة التي تستدعي الوقوف عندها ما يُروى عن النبي محمد حين واجه أحبار اليهود بالمدينة بعد الهجرة، في سياق حوار لإثبات نبوته، إذ أنكروا وجود ذكره في التوراة، فقال لهم بما معناه إنّ نبوءته مذكورة في التوراة الموجودة في بحيرة طبريا .ورغم أنّ الخبر لا يرقى إلى مرتبة النص القطعي، فإنّ مجرد الإشارة إلى توراة أخرى غير المعروفة اليوم يفتح أفقًا واسعًا للتساؤل حول طبيعة النص التوراتي الأصلي ومآلاته.

من هنا، ينطلق هذا البحث من فرضيةٍ أولى تقول إنّ دراسة التوراة وتابوت العهد لا يمكن أن تنفصل عن النقد النصي والتاريخي للديانات الإبراهيمية الثلاث .إذ إنّ كل مقاربة لمسألة الوحي عند بني إسرائيل تقودنا حتمًا إلى التساؤل عن مدى أصالة النص التوراتي: هل التوراة الحالية هي نفسها التي كتبها النبي موسى بيده؟ وهل بقي محتواها محفوظًا دون تغيير، أم أنّها خضعت لإعادة كتابة وتأويل وتفسير على مرّ القرون؟

إنّ هذه الأسئلة لا تقف عند حدود النص الديني فحسب، بل تتعدّاها إلى الرموز التي أحاطت به، وأبرزها تابوت العهد الذي ظلّ على مدى التاريخ محورًا للقداسة والهوية، ومركزًا لفكرة العهد الإلهي مع

"شعب إسرائيل". فالحديث عن التوراة يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن التابوت، إذ لا يمكن أن نفهم إحداهما بمعزل عن الأخرى: فالتابوت هو حارس النص، والنص هو شهادة العهد المودعة في التابوت.

ومن ثمّ، فإنّ هذا البحث يهدف إلى تتبع المصير المزدوج للتوراة وتابوت العهد في ضوء مواقف الديانات السماوية الثلاث — اليهودية، والمسيحية، والإسلام — مع تحليل الرؤى اللاهوتية والفكرية التي تناولت هذه المسألة عبر العصور. ذلك لأنّ أيّ محاولة لتأمل هذا الموضوع بمعزل عن تعدد الرؤى ستقع في خطأ إسقاط عقيدةٍ على حساب أخرى.

وعليه، يطرح هذا البحث الأسئلة الآتية: ما هو موقف الديانتين اليهودية والمسيحية من توراة موسى وتابوت العهد؟ وما هي نظرة الإسلام إلى هذه المسألة من حيث العقيدة والرواية التاريخية؟ وأيّ اتجاهٍ سلك الفكر الفلسفي واللاهوتي في تمحيص هذه القضايا وإعادة تأويلها؟

أولا: توراة موسى وتابوت العهد عند اليهود والمسيحيين:

لقد ارتأينا الجمع بين الديانتين، أي اليهودية والمسيحية، لإيمان أتباع عيسى بن مريم بالتوراة، أو كما يسمونها "العهد القديم". فهي الجزء الأول من كتابهم المقدس. ورغم بعض الاختلاف بين النص العبري وترجمته إلى مختلف اللغات، كأن تترجم كلمة אֲדֹנָי (أدوناي) تماما ككلمة אלוהים (إلوهيم) بما معناه الرب أو Dieu (وهي كلمات تختلف في معناها عن الترجمة)[†]، فإننا نجد في العموم اتفاقا ما بين الديانتين في موضوعنا هذا، أي توراة موسى وتابوت العهد.

[†] يمكن أن نلاحظ هذا الإختلاف والتضارب في الترجمات خاصة في تناول كلمة יהוה، وهي كلمة لا ينطق بها اليهودي أبدا، بل الوحيد المخول له فعل ذلك هو كبير الكهنة في وقت معين (يوم الغفران)، وفي مكان معين (قدس الأقداس في الهيكل)، ورغم ذلك يترجمها المسيحيون بما معناه "الرب". (عند قراءة اليهودي للتوراة وعندما يصل إلى هذه الكلمة ينطقها أدوناي).

وهنالك اختلاف صارخ بين العهد القديم وترجمة سعديا الفيومي للتوراة (الخماش/ الأسفار الخمسة الأولى)، فمثلا تصبح ترجمة الآيتين الثالثة والرابعة من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج التي أوردناها في الأعلى على النحو التالي: "3 فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا:"كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل". 4 فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكّر في الصباح وبنا مذبحا في أسفل الجبل، واثني عشر عمودا لأسباط إسرائيل الاثني عشر".

هنا وجب علينا، وفي البدء، التفرقة بين التسميات، فالنص الكامل للتوراة أي الأربع والعشرين سفرا تعتبر كلها مجتمعة عهدا قديما بالنسبة للمسيحيين. أما بالنسبة لليهود فالتسميات تختلف، إذ أنها تسمى بالتوراة תּוֹרָה أو التناخ תנ״ך وهي مقسمة إلى التناخ أو الخماش חומש، وهي ما خطه موسى (أي الخمسة أسفار الأولى من الكتاب)، ثم نجد الأنبياء (نيفيئيم) נביאים وأخيرا المكتوبات (كيتوفيم) כתובים.

وسنركز في بحثنا هذا على الخمسة أسفار الأولى، حيث تبدأ مسألة كتابة التوراة من سفر الخروج: "3 ثم جاء موسى وقص على القوم جميع كلام الله وجميع الأحكام. فأجابه جميع القوم بصوت واحد وقالوا: "كل الأمور التي أمر الله نصنعها". 4 فكتب موسى جميع كلام الله. وأدلج بالغداة وبنى مذبحا تحت الجبل، ونصب اثنتي عشرة دكة بإزاء اثني عشر أسباط إسرائيل." (الفيومي، 2015) فالنبي موسى كتب كلام الرب وهذا يعني أن "توراة موسى" موجودة فعلا، أي توراة "أصلية" خطّها موسى كاتبا فيها كلام الرب الذي سمعه عند صعوده لجبل سيناء. فهي سابقة للوحي العهد اللذان أمد بهما الرب نبيه.

ولكن وفي سفر الخروج أيضا نجد: "واجعل في الصندوق الشهادة التي أعطيكها" (الفيومي، 2015) فوفقا للوصف الحرفي للآية فالشهادة تعني ألواح العهد، هكذا يفسرها الرّبّي موسى بن ميمون. ولكن وفقا للربي شلومو يتسحاقي أو راشي فإن التوراة هي الشهادة وقد وضعت في التابوت (تابوت العهد) (the testimony the torah). وهنا نلاحظ الارتباط لا بل التلازم بين الصندوق، أو تابوت العهد والتوراة التي كتبها موسى عند نزوله من جبل سيناء لذلك وجب علينا طرح مسألة تابوت العهد. فما هو تابوت العهد؟ وماذا يوجد فيه؟

إن تابوت العهد هو صندوق أمر الرب بني إسرائيل بصنعه وفق مقاييس معينة وباستعمال مواد عديدة كالخشب والذهب وله عديد التسميات التي اختلفت حسب ذكره في التوراة، فنجده تارة يدعى بتابوت الشهادة في سفر الخروج، وطورا تابوت عهد الرب في سفر التثنية ويشوع، وكذلك تابوت الرب أو تابوت الإله في الأنبياء الأوائل.

تم صنع التابوت ووضع فيه لوحي العهد، عصى موسى، بعض من المن (مما أكل بنو إسرائيل)، ووفقا لراشي، التوراة "الأولى". وكان موسى كلما أراد التواصل مع الرب يكلمه من فوق التابوت، حيث أنه

كان مسكنا للرب: "8 فيصنعوا لي من جميع ذلك مقدسا أسكن نوري فيما بينهم 9 كجميع ما أنا مريك من شكل المسكن وشكل جميع آنيته كذلك تصنعوا ..." (الفيومي، 2015)

تم وضع تابوت العهد في خيمة الاجتماع المقدسة التي كان يحملها بنو إسرائيل في ترحالهم تجاه أرض كنعان. وبما أن الأغراض الدينية كانت تؤخذ في الحروب كما هو متبع في الشرق القديم، فإن بني إسرائيل كانوا يأخذون التابوت معهم في حروبهم أملا في جلب دعم الرب للمقاتلين، فكان أن سقط التابوت في السبي على يد الفلسطينيين: "10 فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جدا، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل. 11 وأخذ تابوت الله، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس" (العهد القديم سفر صاموئيل الأول 4). وعلى إثر تتالي اللعنات على الفلسطينيين، التي بدأت بسقوط إلههم داجون على وجهه أمام تابوت العهد، لتتواصل بالأمراض والطاعون، قرروا إعادته لبني إسرائيل بعد سبعة أشهر. حيث أنهم رأوا أن هذه اللعنات ليست سوى بسبب وجود تابوت العهد بينهم: "21 وأرسلوا رسلا إلى سكان قرية يعاريم قائلين: "قد ردّ الفلسطينيون تابوت الرب، فانزلوا واصعدوه إليكم" (العهد القديم سفر صاموئيل الأول 6).

كان هذا في البدايات، أي بداية احتلال اتباع موسى لأرض كنعان، ولكن بعد إنشاء "الدولة"، دولة داوود، نقل الملك تابوت العهد إلى أورشليم، ثم وضعه ابنه سليمان في الهيكل الذي بناه، في قدس الأقداس، على الحجر الذي قدم فيه إبراهيم ابنه إسحاق قربانا لله حسب المعتقد اليهودي. وتم منع الدخول إلى قدس الأقداس ، إلا من طرف كبير الكهنة، وذلك في يوم فقط من السنة أي يوم الغفران.

اختلفت الروايات بعد ذلك، حيث لم يتم ذكر التابوت بعد السبي الفارسي على يد نبوخذ نصر، ولم يتم ذكره في قوائم الغنائم، وكذلك لم يذكر في الأشياء التي أعادها كورش الملك الفارسي إلى مبنى الهيكل الثاني. ولكن بعض الفرضيات التي وجدناها مذكورة سننقلها دون تفصيل، فأولها أن الملك سليمان بنا مكانا عميقا مخفيا ووضع فيه التابوت، وأن الملك ياشياهو أمر بحفظه في نفس المكان لذلك لم يؤخذ في السبي ولم يتم وضعه في الهيكل الثاني، فهو مفقود. وهنالك رواية أخرى تقول بأن تابوت العهد موجود في مصر، وأخرى تروي وجوده بأثيوبيا.

وقد أتى المطران بوسويت الشهير في كتابه "خطاب في تاريخ العالم" على ذكر تابوت العهد حيث سماه "تابوت عهد الحرب" معتبرا أنه محفوظ في بناء الهيكل. والأهم من هذا أنه أقر بأن التوراة المكتوبة بخط

النبي موسى محفوظة بجانبه (الشهير، 1882، الصفحات 260-261). بالإضافة إلى أن القديس أغوسطين ذهب في كتابه "مدينة الله" إلى أن التابوت هو صورة للعهد الروحي بين الله والإنسان، وأن المسيح "وريث التوراة" هو من نقل العهد من الحجر إلى القلب (hipponensis, 155, p. 120).

إن الغياب الطويل لتابوت العهد جعل منه أسطورة مركزية في الوعي اليهودي ورمزا للخلاص المنتظر تماما كما أصبح الهيكل رمزا لعودة "المشيح" وفي التراث المسيحي ظل حاضرا بوصفه تمهيدا للعهد الجديد، أي رمزا للمسيح نفسه الذي يعتبر تابوت العهد الحي الذي يحل فيه الروح الإلهي .hipponensis a) ., 155)

ولكن، وعندما انتقلت فكرة "العودة إلى أرض الميعاد" من الميدان الروحي إلى السياسي في القرن التاسع عشر، أعيد تفسير الرموز التوراتية وفق منظور قومي-لاهوتي جديد. وهكذا صار تابوت العهد وهيكل سليمان ركيزتين في العقيدة الصهيونية الحديثة التي مزجت بين الوعد الديني والمشروع الإستيطاني.

فقد اعتبر هرتزل ورفاقه أن "العودة إلى الأرض" هي استعادة لعهد الرب مع إسرائيل، بينما رأى الحاخام كوك (الحاخام الأكبر في زمن الانتداب البريطاني) أنّ إقامة الدولة اليهودية في فلسطين تمهّد لعودة الحضور الإلهي، أي لبناء الهيكل الثالث الذي سيعود فيه التابوت إلى مكانه الأصلي. ومن هنا تحوّل التابوت في الفكر الصهيوني من رمز ميتافيزيقي إلى أداة سياسية، إذ صار يعبّر عن استمرارية العهد التاريخي والحقّ الإلهي في الأرض. ويذهب بعض مفكري الصهيونية الدينية مثل إسرائيل هارئيل وحنان بورات إلى أنّ إعادة بناء الهيكل ستعيد "سكينة الربّ" إلى أورشليم، أي استعادة التابوت بمعناه العميق (Gorenberg, 2000, p. 56).

لقد أصبح "الهيكل الثالث" في الخطاب الصهيوني رمزًا للأمة المحققة للوعد، بينما يُنظر إلى التابوت على أنه "علامة العهد النهائي"، أي تأويل ديني للدولة نفسها. وهنا يلتقي الأسطوري بالتاريخي، لتصبح السياسة امتدادًا للاهوت، تمامًا كما عبّر برونو لاتور عن فكرة "عودة الأشياء المقدسة في العالم الحديث"، حيث يستعيد الرمز الديني فاعليته داخل الممارسة الواقعية .(Latour, 2005, p. 143)

بهذا نلاحظ أن تابوت العهد وتوراة موسى يشكلان في اليهودية والمسيحية نواة الهوية الدينية، بينما في الفكر الصهيوني الحديث يشكلان نواة الهوية السياسية—المقدسة .فالرمز الذي كان علامة حضور الإله، صار اليوم شعارًا لعودة التاريخ، أي أن القداسة تحولت من بعد ميتافيزيقي إلى مشروع أرضي مؤدلج. ومن

هنا وجب على الباحث ألا يقرأ التابوت مجرد أثرٍ مفقود، بل باعتباره نصًّا مفتوحًا تتنازعه الديانات والتأويلات من موسى إلى كوك، ومن الهيكل الأول إلى فكرة الهيكل الثالث.

ثانيا: المسلمون، التوراة، تابوت السكينة والمهدي المنتظر:

كما أوردنا، فإن لهذا التابوت عديد الأسماء، ولم تختلف تسميته في التوراة فقط، إنما كان له اسم آخر بالنسبة للمسلمين ألا وهو "تابوت السكينة"، فقد ورد ذكره مرة فقط في القرآن، وكان ذلك في سورة البقرة: "وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤت ملكه من يشاء والله واسع عليم 247 وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين 248" (قرآن، سورة البقرة آية 247-248). وهنا نلاحظ أن ذكره ورد صراحة، وهذه الآيات اعتبرها المفسرون دليلا على حضور التابوت في التاريخ الإيماني كرمز للعهد والسكينة الإلهيين.

وقد اختلف المفسرون في تعريف السكينة التي في التابوت فمنهم من قال أنها ريح هفهافة لها وجه كوجه الإنسان (الطبري، صفحة تفسير سورة البقرة 5665). وهنالك من قال بأنها روح من الله تتكلم (الطبري، صفحة تفسير سورة البقرة 5680) وهنا نلاحظ التوافق بين ما ورد في التوراة وبين هذه الرؤية، أن رب موسى موجود في تابوت العهد. وتباينت الروايات أيضا في ما يخص تفسير البقية مما تترك آل موسى وآل هارون فمنهم من يقول بأنها عصى موسى فقط ومنهم من يقول نعلي موسى فقط وآخرون يقولون بأن الموجود في تابوت السكينة ليس سوى عصا موسى وعصا هارون ولوحي العهد (الطبري، الصفحات تفسير سورة البقرة 5685-5700).

ويلاحظ أيضا أن أغلب المفسرين المسلمين، من الطبري إلى الرازي والقرطبي، ركّزوا على الوظيفة الروحية للتابوت أكثر من التركيز على وجوده المادي (الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، صفحة 201) (الرازي، صفحة 112). فالتابوت عندهم تجلٍّ للعهد بين الله وبني إسرائيل، ومقامٌ تتنزّل فيه السكينة، لا مجرد وعاء لألواح الحجر أو أدوات العبادة.

كما أنّ التصوف الإسلامي أعاد تأويل التابوت رمزيًا بوصفه قلب المؤمن الذي تسكنه السكينة الإلهية، كما عند ابن عربي في الفتوحات المكية (عربي، صفحة 310)، حيث يجعل "تابوت العهد" مثالًا للإنسان الكامل الذي يحمل سرّ الكلمة الإلهية. وبهذا المعنى، انتقل التابوت في التأويل الإسلامي من "أثر مادي مفقود" إلى "رمز دائم للحضور الإلهي"، مما يدل على خصوصية النظرة الإسلامية التي لا تربط القداسة بالمكان أو الشيء، بل بالمعنى الذي يسكنه.

تطابق آخر بين ما يراه اليهود والمسيحيون وما يرويه المسلمون، فتابوت العهد موجود فعلا بالنسبة للديانتين. ولكن حسب الرؤية اليهود والمسيحيين فهو موجود في قدس الأقداس في الهيكل أو هو مفقود حسب رواية أخرى، فما رأي الإسلام في ذلك؟

لئن لم يبحث المسلمون السنة في الأمر كثيرا متعللين في ذلك بأن الله أغناهم عن كتب غيرهم وعن القصص الواردة فيها بما أنزل من القرآن على النبي محمد (الألباني، صفحة 34)[‡]، فإن الشيعة لهم أقوال في ذلك، ولعل ارتباط أقوالهم بالمهدي المنتظر الذي لا يعدو سوى أن يكون إماما من آل بيت الرسول، وقد انتشر هذا المبدأ في صفوف الشيعة على يد المختار الثقفي الذي دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية فأنشأ الشيعة الكيسانية، هو ما دفعهم للبحث. فالمهدي المنتظر هو الإمام الغائب الذي سيعود في آخر الزمان ليقيم العدل بين الناس، ولئن اختلف الشيعة حول هويته وذلك حسب فرقهم من كيسانية إلى إمامية إلى زيدية ... فقد اتفقوا على مبدأ العودة والظهور. وهذا ما نجده أيضا عند اليهود في شخص "المشيح" أو المسيا. ومن علامات ظهور المهدي هو أنه على يديه يظهر تابوت السكينة، حيث يستخرجه من أماكن متعددة حسب الروايات، فهنالك من يقول بأنه سيستخرجه من غار بأنطاكية (المجلس) (المروزي)[§][**]،

[‡] روى الإمام أحمد (14736) عن جابر بن عبد الله " أن عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب, والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا بيه، أو بباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني"

[§] عن النبي: "يستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية"

[**] عن كعب قال: يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى والإنجيل الذي أنزل الله عز وجل على عيسى، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم"

وهنا يتم ذكر التوراة والإنجيل متلازمين رغم مئات السنين التي تفصل كتابة النبي موسى للتوراة وبين كتابة الأناجيل بكل أنواعها من التي تعتمدها الكنيسة إلى التي ترفضها.

ومن الأماكن الأخرى هنالك بحيرة طبرية (بحيرة بين سوريا وفلسطين)، والتي سيستخرج منها المهدي تابوت السكينة وهنا لم يذكر محتواه، سوى أنه عندما ينظر اليهود إليه يسلمون (المروزي)[††]. وأيضا تم ذكر جبل في الشام يستخرج منها المهدي أسفارا من التوراة ولم يتم ذكر تابوت السكينة (الصنعاني)[‡‡].

ثالثا: توراة موسى، تابوت العهد والفكر:

تتفق الديانات السماوية الثلاث على الوجود الفعلي لتابوت العهد مع الاختلاف في تسميته فهو تابوت السكينة بالنسبة للمسلمين، وتابوت العهد بالنسبة للمسيحيين واليهود، ويضيف بنو إسرائيل تسميات أخرى، كتابوت الرب وتابوت يهوه. وحتى محتويات هذا الرمز الديني فيها إجماع، خاصة فيما يخص وجود ألواح العهد، مع بعض الاختلافات حول وجود التوراة من عدمها. ومع عدم ذكر التابوت في قوائم غنائم السبي الفارسي رغم قيمته الرمزية والمادية فهذا يدفعنا إلى الإقرار بأنه ما يزال موجودا في مكانه، أين وضعه الملك/النبي سليمان.

ولكن الشيء الأهم الذي اتفقت عليه الديانات الإبراهيمية هو أن النبي موسى كتب التوراة بنفسه، وتبقى مسألة حفظها وعدم تحريفها مسألة نسبية، يتناولها كل متبع لدين حسب مصلحته وحسب غايته.

وقد تناول العديد من علماء اللاهوت مسألة تابوت العهد ومحتوياته، فقد أورد المفكر فراس السواح في مقال بعنوان "أسرار تابوت العهد في التوراة" تفسيرا للآية 248 من سورة البقرة، معتبرا أن البقية مما ترك آل موسى وآل هارون تتمثل في لوحي الوصية والشهادة ووعاء المنّ وعصا هارون التي أورقت، دون أن يتطرق إلى تحديد ماهية الشهادة (السواح). ولكنه نفى أن يكون اللوحان الموجودان في التابوت هما لوحا

[††] فصل سيرة المهدي وعدله وخصب زمانه، 1050 حدثنا يحي بن سعيد العطار البصري عن سليمان بن عيسى قال: "بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلا منهم ثم يموت المهدي"

[‡‡] عن كعب قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أسفار من أسفار التوراة يستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة، ثم ذكر نحوا من ثلاثين ألفا (372/11)

الوصايا اللذان خطهما الرب بإصبعه، إنما شيء آخر يعبر عن حضور الألوهة، وذهب إلى اعتبارهما نصبين يعبر أحدهما على الأنوثة والآخر على الذكورة (السواح).

ومن أشهر من تناولوا الدين اليهودي بالنقد نجد عالم اللاهوت باروخ سبينوزا الذي نقد الأسفار التوراتية سفرا سفرا، نقدا تاريخيا وقد كان نقده عقلانيا فلسفيا. فعند مطالعتنا لكتاب "رسالة في اللاهوت والسياسة" نجده ينكر إنكارا تاما كتابة موسى للأسفار الخمسة الأولى (الخماش) من التوراة الحالية (التناخ), حيث أورد عديد الحجج لإثبات ذلك، منها أن موسى نقش سفره كله بوضوح على حافة مذبح واحد وبذلك يكون في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة (سبينوزا، 2012، صفحة 258). ومنها أيضا أنه من المستحيل أن يتحدث موسى عن نفسه بضمير الغائب في نص كتبه بنفسه وبالتالي يكون كاتب آخر قد أخذ على عاتقه كتابة أقوال موسى وأفعاله (سبينوزا، 2012، صفحة 259).

وكان عالم اللاهوت ابن حزم أيضا قد نفى في كتابه "الفصل في الملل والنحل" من جزئه الأول، أن تكون التوراة الحالية (الخماش) هي نفسها توراة موسى. ولكنه يؤكد وجود نسخة من هذه التوراة تحت أو في تابوت العهد في الهيكل (حزم، صفحة 225).

من الممكن أن يستغرب القارئ مواقف المفكرين، ولكن الدراسات العلمية أي مدارس النقد المختلفة ذهبت نفس المذهب، حيث أنّ البعد الفكري لتوراة موسى وتابوت العهد لا يقف عند حدود النقد النصي أو التاريخي، بل يمتد إلى الأسئلة الفلسفية الكبرى حول العقل والوحي والذاكرة المقدسة .فمسألة كتابة موسى للتوراة تعيدنا إلى أصل العلاقة بين الإنسان والكتابة الإلهية :هل النص المقدس تعبير عن الوحي أم عن التجربة التاريخية للجماعة؟ (السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، صفحة 75).

وقد تعامل فلاسفة الدين المعاصرون، من أمثال لوسيانو فلوريدي وبرونو لاتور وتيروش–صموئلسون، مع هذا السؤال من زاوية معرفية–تكنولوجية، إذ يرون أن كل نص مقدس هو بنية معلوماتية تُعاد كتابتها وتأويلها مع تغير وسائط الذاكرة البشرية (floridi, p. 102). وعليه، يمكن قراءة تابوت العهد بوصفه "أول وسيط معرفي مقدس" في التاريخ الإبراهيمي، يربط بين الكتابة والسلطة والمعنى (Latour, 2005, p. 131) . ومن ثمّ فإنّ فكرة التوراة الأصلية، التي كتبها موسى بيده، تتقاطع مع فكرة "الكتابة الأولى" في الفكر الفلسفي؛ أي البحث الدائم عن أصل المعنى الموحى. وهنا يتحول تابوت العهد من مجرد وعاء

للحروف إلى رمز للوعي الإنساني الباحث عن الألوهية، كما في فلسفة ميرسيا إلياده حين يجعل "الرمز المقدس" وسيلة لإعادة وصل الإنسان بالمطلق .(Eliade, p. 25)

خاتمة:

إجمالًا، يمكن القول إنّ أغلب علماء اللاهوت والباحثين في النقد الديني الذين تناولوا الدين اليهودي بالتحليل والتمحيص قد أجمعوا على أنّ التوراة الحالية ليست هي نفسها توراة موسى، وأنّ النص الذي بين أيدينا اليوم إنما هو حصيلة مراحل من الجمع والتحرير والتدوين امتدت قرونًا طويلة بعد وفاة النبي موسى. ومع ذلك، فإنّ الاتفاق يكاد يكون عامًا بين الديانات الإبراهيمية الثلاث على أنّ التوراة الأصلية كانت فعلًا من كتابة النبي موسى نفسه، وأنّها كانت محفوظة في قدس الأقداس داخل الهيكل، في موضع لا يدخله إلا الكاهن الأكبر الذي يُخوّل له وحده الوصول إلى تابوت العهد.

إنّ لحظة دخول الكاهن الأعظم إلى قدس الأقداس يوم الغفران، ووقوفه أمام التابوت صارخًا باسم الرب الذي لا يُنطق به عند اليهود (יהוה)، تمثل ذروة العبادة في التقليد العبري، إذ تجتمع فيها القداسة والرهبة والرمز في مشهدٍ واحدٍ يعبّر عن تلاقي الإنسان بالوحي. لكن هذا الطقس توقف منذ خراب الهيكل الثاني، فانقطعت معه السلسلة الطقسية التي كانت تحفظ المعنى المقدس لتوراة موسى، وبقي التابوت، مثل التوراة، رمزًا للغائب والمفقود في الوعي اليهودي.

ومن هنا تتجدد أهمية هذا البحث، إذ لا يمكن النظر إلى مسألة التوراة وتابوت العهد بمعزل عن التحولات السياسية واللاهوتية التي صاحبت نشوء الحركة الصهيونية في العصر الحديث. فالصهيونية، وإن قدمت نفسها مشروعًا قوميًّا، فإنها استمدت شرعيتها من الأسطورة الدينية القائمة على فكرة ‘‘شعب الله المختار’’ و‘‘العودة إلى أرض الميعاد’’، وهي مفاهيم لا تنفصل عن مركزية التابوت وهيكل سليمان والرب ‘‘إله إسرائيل’’. لذلك، فإنّ إعادة قراءة مسألة التوراة وتابوت العهد تتجاوز البعد الديني إلى بعدٍ أنثروبولوجي وسياسي، لأنّها تضعنا أمام السؤال الجوهري: إلى أي مدى يمكن توظيف النص المقدس في بناء الكيان السياسي الحديث؟

وعليه، فإنّ ما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ تابوت العهد وتوراة موسى ليسا مجرد رمزين من رموز الموروث الديني، بل هما نصّان تأسيسيان في الذاكرة البشرية، اختزنا علاقة الإنسان بالمقدّس عبر تطور الديانات الإبراهيمية. فاليهودية رأت فيهما عهدًا بين الرب وشعبه، والمسيحية أعادت تأويل التوراة في ضوء

العهد الجديد، بينما جعل الإسلام من تابوت السكينة آيةً على ملكٍ واصطفاءٍ إلهيٍّ لبني إسرائيل، ثم تجاوزه بالوحي القرآني إلى مفهوم العهد الإنساني الشامل.

إنّ البحث في هذه القضايا يظل دقيقًا وخطيرًا في آنٍ واحد، لأنّه يمسّ جوهر الخطاب الديني والسياسي الإسرائيلي الحديث، المرتكز على ‘‘الكتاب المقدس’’ و‘‘إله إسرائيل’’ و‘‘الشعب المختار’’. ومع ذلك، فإنّ الدراسات الأكاديمية العربية والإسلامية لم تمنح هذا الموضوع بعدُ ما يستحقه من اهتمام نقدي شامل، سواء من جهة النصوص الدينية المقارنة أو من زاوية تاريخ الأفكار وعلاقتها بالهوية. ومن ثمّ، تبقى الحاجة ملحّة إلى مزيد من الأبحاث التي توازن بين الإيمان والعقل، والنص والتاريخ، والرمز والسياسة، حتى نفهم كيف صاغت هذه الرموز الكبرى وجدان الإنسانية، وكيف تحوّلت من أدواتٍ للوحي إلى أدواتٍ للهيمنة.

لائحة المصادر والمراجع:

1. ابن حزم، 1996، "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، الجزء الأول،"ملوك الأسباط العشرة"، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
2. ابن عربي (محي الدين)، 2011، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الجزء 2.
3. الألباني، 1985، إرواء الغليل ، الجزء السادس.
4. الرازي (أبو بكر)، 1981، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر، الطبعة الأولى.
5. سبينوزا (باروخ)، 2012، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.
6. سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي، 2015، تفسير التوراة بالعربية ، أخرجه وصححه يوسف درينبورج المركز القومي للترجمة جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ، سفر الخروج.
7. السواح (فراس)، 1998، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين دمشق.
8. الطبري (محمد بن جرير)، 1985، تفسير الطبري، المكتب الإسلامي بيروت، تفسير سورة البقرة
9. الطبري (محمد بن جرير)، 1995، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت، الجزء3.
10. العهد القديم، سفر صاموئيل الأول 4

11. القرآن، سورة البقرة الآية 247 والآية 248

12. المجلة الالكترونية مدى: فراس السواح، "أسرار تابوت العهد في التوراة"

13. المجلس (محمد باقر)، 1983، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي.

14. المزوري (نعيم بن حماد)، 1997، الفتن، دار الفكر بيروت.

15. مصنف عبد الرزاق، 1983، المكتب الإسلامي بيروت.

16. المطران بوسويت الشهير1882 ، خطاب في تاريخ العالم ، ترجمة شاكر أفندي عون وعبد الله أفندي البستاني، المطبعة العمومية الكاثوليكية بيروت 1882.

1. Eliade (Mircea), 1959, the sacred and the profane: the nature of religion, Houghton Mifflin Harcourt.
2. Floridi (Luciano), 2011, the filosophy of information, oxford university press.
3. Gorenberg (Gershom), 2000, the end of days: fundamentalism and the struggle for temple mount, oxford university press.
4. Hipponensis (Augustinus), 1955, de civitate dei, Brepols Publishers NV Belgium.
5. Latour (Bruno), 2005, reassembling the social: and introduction to actor-network-theory, oxford university press.
6. Midrash Tanchuma, The testimony_the torah (the tables ; cf. Rashi on Exodus 40:20) which is - testimony between me and you that I have ordained the commandments writtenin the (Pekudei 4)